توطئة

عبر كتاب «عشر سنوات من التوحيد والإصلاح» باعتباره وثيقة تأريخية تحصيلية حاولت تكثيف جهود المراجعات التصورية والاستراتيجية والهيكلية التي عرفتها الحركة ، حيث أبان الكتاب على أن حصيلة العشرية الأولى تؤشر على تقدم كبير على طريق إنجاز استحقاقات وشروط التأسيس المتمثلة في الوحدة وإرساء التخصصات وبناء التنظيم الرسالي ، وذلك في ظل توسع الصحوة وانتشار التدين ، وفي المقابل بروز خطابات التطاول على حرمات الإسلام والتجرئ على ثوابته على هامش الصحوة المتنامية .

طور جديد :

واليوم تدخل الحركة طورا جديدا من التجديد في فعلها الإصلاحي ، وبذل الجهود من أجل فتح آفاق أوسع للتجربة على مستوى الانفتاح الرسالي وخدمة قضايا المجتمع الأساسية ، بما يساهم في ترشيد الصحوة وتسديد قوامها على مستوى الفكر والممارسة معا .

إذ لا مراء في أن الصحوة المباركة ببلادنا قد حققت الكثير من الأهداف النبيلة التي كانت في مرحلة السبعينيات من القرن الماضي مجرد أحلام ، حتى صارت اليوم يقظة شملت العقول والقلوب والعزائم ، وساهم تجديدها لفهم الدين بشكل أو بآخر في تصحيح المفاهيم الخاطئة وتقويم المسالك المعوجة ، فأعادت للتدين الحياة والحركة والنمو ، فأنتجت بذلك واقعا صحويا جديدا .

تحدي المدافعة المجتمعية :

وبناء على هذا التراكم التاريخي الهام صار لازما على الحركة الإسلامية اليوم أن تؤسس لطفرة جديدة تنتقل عبرها نحو واجب ترشيد هذه الصحوة ، مما يقتضي الدخول في مرحلة المدافعة المجتمعية ، ردا لقيم التطرف والغلو أوالتسيب والجرأة على الدين ، ضمن رؤية مندمجة لإقامة الدين وإصلاح المجتمع ، تتجاوز مجرد انبعاث وإحياء قيم التدين وإشاعة مظاهره في الحياة الفردية والجماعية ، وتتعدى أعمال الاحتجاج وردود الفعل في إنكار بعض المنكرات ، نحو القيام بتأصيل شرعي مجتهد وإنتاج فكري متجدد وعمل فني مبدع من جهة ، وإطلاق مبادرات نوعية في الإصلاح ومقاومة الفساد والإفساد للمساهمة في إقامة نهضة تستند إلى ركائز الاجتهاد والتجديد والإبداع .

إن المشروع النهضوي الذي نأمله باعتباره خيارا منحازا لخط الأمة وهويتها ، يقوم على استحقاق حضاري مرحلي يتوسل منهج الإصلاح ، وما يعنيه ذلك من خوض غمار «مدافعة تاريخية» ودائمة ضد الفساد والإفساد .

ولا ينبغي أن نفهم في هذا السياق أن المدافعة هي الصراع العدمي أو الصفري ، بل هي التنافس الشريف الذي يخدم مصالح العباد في العاجل والآجل ، والتي تنطلق من روح الاختلاف واحترام الرأي الآخر .

إن المدافعة المجتمعية للمشاريع المنافسة التي تخترق الخلفية النظرية والعملية لهذا الكتاب ، تدل جوهريا على ضرورة الانطلاق من مكتسبات

التدين في توسيع المجال الحيوي للعمل الإسلامي ، لأجل منافسة فعالة للمشاريع المجتمعية القائمة والتدافع معها بمشروع مجتمعي إسلامي وطني؛ أي الانطلاق من الصحوة إلى النهضة .

أطروحة الكتاب

ولكي نخوض غمار هذه المدافعة المجتمعية بتحدياتها وآثارها المنتظرة ، لابد من تعميق تصوري لخياراتنا المرحلية ، من خلال مراجعات فكرية تعزز الفهم الرسالي لدورنا الإصلاحي في المجتمع ، وتساعد على الاستيعاب التجديدي الذي يمس الآليات التصورية والمنهجية والتربوية والتخطيطية لعملنا الإسلامي الرسالي بكل أبعاده ومجالاته وتجلياته .

أهداف الكتاب :

ولئن كان وضع «المخطط الإستراتيجي» لحركة التوحيد والإصلاح في مؤتمر ٢٠٠٦ إيذانا بانطلاق هذا الطور الجديد الذي تختصره ثلاثية الرسالية والاستيعاب والمدافعة ، فإن النقاش بصدده يحتاج إلى فتح آفاق أوسع مما هو تقني وإجرائي ، نحو آفاق تنظيرية وفكرية ، تعمق أسئلة المرحلة وتضع رهاناتها على سكة الفعالية الإنجازية والمجاهدة الميدانية ، في أفق ما يمكن أن نسميه تجديد التجديد .

صحيح أن المخطط الإستراتيجي الذي وضعته الحركة انطلق من رؤية تصورية ونقاش تشاركي جماعي ، غير أن وضعه على سكة الإنجاز التاريخي يستلزم حدا معقولا من الكتابة التفاعلية التي تساهم في الإنضاج والاقتراح والتفكير في مسار الفعل والتنزيل والإنجاز ، مما يجعلها بالأساس كتابة مفعمة بروح الخبرة العملية والمثال التاريخي ، ومتوقدة بروح الإنجاز والفعل .

محتويات الكتاب

والكتاب الذي نقترحه هنا كإسهام في هذا الاتجاه ، يدشن حوارا تصوريا حول المرحلة ، حوار يستصحب استشكالات المحيط وتساؤلات الأعضاء وتحديات الوطن والأمة ، وقد شكلت جريدة التجديد وموقع الإصلاح منابر لفتحه وخوضه بشكل تفاعلي ، سواء تعلق الأمر بتعليقات القراء أو مناقشات الفعاليات والأعضاء ، وهذه مناسبة لنشكر هؤلاء جميعا على إسهاماتهم واقتراحاتهم كل من موقعه .

ويضم الكتاب ثلاث أبواب أساسية ، وكل باب ينقسم إلى مباحث وفروع :

الباب الأول : الرسالية وآفاق المشروع المجتمعي لحركة التوحيد والإصلاح .

الباب الثاني : الاستيعاب ، الآليات والعوائق .

الباب الثالث : المدافعة المجتمعية وتحديات الانفتاح الرسالي .

الرباط في رمضان ١٤٢٩ الموافق شتنبر ٢٠٠٨م

محمد أحمد الحمداوي